المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالى
جامعة أم القرى
مكة المكرمة

٩٠٠٠٠٢٦

بحوث
المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين

المنعقد في مكة المكرمة في المدة
٥ - ٧ شعبان ١٤١٩ هـ

الجزء الثاني

١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م

٩٠٠٠٠٢٦-١١

الأندلـــس
فـي ذاكـرة الشاعر السعودي

بحث أعد خصيصًا للمشاركة في المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين
المنعقد بجامعة أم القرى في الفترة ٢ – ٥ شعبان ١٤١٩هـ

بقـلم
الدكتور / حسن الوراكلـــي
أستاذ الدراسات العليا
بجامعتي أم القرى بمكة المكرمة وعبدالملك السعدي بتطوان

كان من بين ما أثار اهتمام الأديب العربي في العصر الحديث من روافد القول ومصادره « الأزمنة والأمكنة » بشخصياتها ووقائعها ، ما تألق منها وما بهت ، وما رشد منها وما غوى ، في تاريخ أمته الإسلامية بمشرق من الأرض ومغرب .

وكان لذلك الاهتمام دواعٍ عدة ، لعلنا أن نحصرها في إثنين :

أ ـ داع موضوعي ، ونعني به ما كان الواقع العربي والإسلامي عرفه ، وخاصة بعد الغارة الصليبية الشرسة ، على أقطاره وبلدانه ، من ألوان التردي والانهيار على غير ما مستوى من مستويات الحياة . الأمر الذي حمل المتنورين من أبناء الأمة ، ومنهم الأدباء والشعراء ، على البحث عن وسائل لإصلاح هذا الواقع وتغييره، فرأوا في استرداد الوعي بالذاتية الحضارية والثقافية عند أبناء الأمة من الأجيال الصاعدة ما يعمق في نفوسهم الشعور بالكيان الحضاري المستقل ، والإحساس بالشخصية الثقافية المتميزة ، ورأوا في استدعاء تاريخ الأمة الإسلامية ، بأزمنته ، الممرعة والمجدبة ، وشخصياته الهادية والضالة ، ووقائعه المفرحة والمحزنة ، وتصويره في أعمالهم الشعرية ما يضع تحت أبصار الأمة وبصائرها نماذج من الإستواء وأخرى من الإكباب ، تسترشد بالأولى في سلوك الطريق القويم للبعث الحضاري والثقافي وتتحاشى بالثانية مزالقه ومعاثره !

ب ـ داع فني تصوري ، ونعني به ما عمد إليه الشعراء ، وخاصة أصحاب قصيدة التفعيلة ، من امتياح الرمز والأسطورة في تشكيل لغتهم الشعرية ، تركيبية ودلالية ، لبلورة رؤاهم التصورية من جهة وإسقاط الماضي على الحاضر ، إشادة أو إدانة ، بقصد صياغة هذا

الأخير ، وفق ما برئ به الأول وشفي ، سليمًا من الآفات ، معافى من العاهات . إلى مقاصد أخرى لا يتسع لها الحيز .

وقد ساعد على تقوية هذه الدواعي عند الأديب العربي ما بدأت المحافل الأدبية والفكرية تشهده منذ القرن الماضي من إحياء للتراث التاريخي ، والحضاري ، والأدبي ، والفكري وضعت بين أيدي الأدباء والشعراء مشاهد متعددة من تاريخ أمتهم ، بأزمنته ، وأمكنته ، وشخصياته ، حين كان يستوي في مشيه وحين كان يكب .

ومع أن الأديب العربي وجد في صحف التاريخ العربي والإسلامي ، وهو ، في تصورنا ، ثمرة الصراع بين الاستواء والإكباب، وعلى اختلاف مسارحه ، وأحداثه ، وشخوصه مادة لفن القول عنده ، فعكف عليه يستنطقه ويسترفده في عناية واهتمام بالغين، إلا أن أوفر صحف هذا التاريخ حظًا من هذا الاهتمام وتلك العناية كانت صحف التاريخ الأندلسي منذ الفتوح إلى النزوح ، وقد أتاح ما نشر منها ، وفي طليعتها أثران مهمان هما (نفح الطيب) (١) و(أزهار الرياض)(٢) لأبناء الأمة ، وفيهم أدباؤها وشعراؤها ، أن يعاينوا من آزمنة هذا التاريخ فجره وضحاه ، وزواله ومساءه ، ما ائتلق منها وما بهت ، وما ابيض منها وما اسود ، فكانت ، أي صحف التاريخ الأندلسي ، بذلك ، مبعث فخار وزهو ، وبالآن عينه ، مثار حسرة وأسى رأى فيها الشاعر العربي بخاصة ، والأديب العربي بعامة ، وهو يصابح ويماسي يوم أمته الغائم ويحلم بغدها المشرق ، نبعًا فياضًا بوسعه أن يغرف منه ويمتاح في دعوته إلى الإصلاح ، والتغيير ، والاستشراف .

وكان ثمرة ذلك حصيلة غنية من الأشعار، والرحلات، والمسرحيات التي استلهمت ذلك التاريخ واسترفدته(٣) ، وعكست ، من خلال ذلك ، رؤى أصحابها وتصوراتهم ، كما كشفت ، في الوقت ذاته ، منازع خطابهم ومقاصده .

والأسئلة التي نطرحها ، بعد هذه الفذلكة ، هي :

ما إسهام الشاعر السعودي في تلك الحصيلة ؟ وما رصد ، في إسهامه ، من أزمنة التاريخ الأندلسي وأمكنته ؟ وما وقف عنده منها وما استوقف ؟ وما استنطق من شخصياته ؟ وما استلهم من وقائعه ؟ وما وظف من الأقنعة الرامزة لأولئك جميعا ، ما أضحك منها جميعا وما أبكى ؟ وما أبهج وما أشجى ؟ وبم توسل في خطابه الشعري – الأندلسي ، من مقومات السياق ؟ وما عكس في رسالته من رؤى له وتصورات ؟ .

والجواب عن هذه الأسئلة هو ما سيؤلف ، إن شاء الله تعالى ، الفقرات التالية !

إن المادة الشعرية التي وقعت لنا مما كتب الشاعر السعودي ، بوحي من الأندلس واستلهام لها ، تعتبر ، بالقياس إلى ما عرفناه من نظائرها عند غيره من شعراء الأقطار العربية الأخرى ، ثرية وغنية سواء على مستوى التنوع في مضامينها أو التعدد في أشكالها .

فمن حيث المستوى الأول عالج الشاعر السعودي الموضوع الأندلسي ، من خلال أزمنته وأمكنته ، وشخصيات تاريخه ووقائعه ، ملمحًا ، من جهة ، بين غابر المسلمين في الأندلس ، بأمجاده وترديّاته،

وحاضرهم كما عايشه وعاينه ، ومن أخرى ، بين وجدانه الفردي ووجدان أمته الجماعي .

ومن حيث المستوى الثاني توسل الشاعر السعودي في تلك المعالجة بقوالب مختلفة من قصيدة عمودية(٤) وغير عمودية(٥) إلى مطولة أو (ملحمة)(٦) إلى مسرح شعري أو شعر مسرحي(٧) . ومن الشعراء وجدنا من أفرد هذا الموضوع بالواحدة من مثل حسين عرب ، ومحمد حسن فقي ، وخير الدين الزركلي ، وحيدر الغدير ووجدنا من خصه بجملة نصوص مثل مطلق الثبيتي ، على حين اكتفى بعضهم ، من مثل صالح الزهراني ، وأحمد صالح الصالح ، وعبدالرحمن العشماوي ، وزاهر الألمعي بالخطفة العجلى ، في هذا النص أو ذاك ، من نبع ذلك التاريخ الثري يتقنع ببرقعها ويرمز بينما أطال غير هؤلاء من أمثال محمد هاشم رشيد الوقوف عند النبع يعب منه ويكرع ، ويفسح له أكثر من مجرى في أكثر من مقطع في قصيدة واحدة .

أما المطول من النص الشعري الأندلسي فقد انفرد به الشاعر عبدالله بلخير الذي أنشأ سبعًا طوالا ، عرفنا منها ثلاثا ، أولاها قصيدة (قرطبة) ، وهي تقع في نحو أربعة عشر ومائتي بيت ، وثانيتها قصيدة (غرناطة وقصور الحمراء) ، وهي تتألف من إثنين وأربعين ومائة بيت ، وثالثتها قصيدة (طارق بن زياد) ، وعدد أبياتها إثنان وأربعون ومائة بيت . وهذه الثلاثة الطوال ضمنها الشاعر ، فيما ضمنها ، وخاصة قصيدتي (طارق) و (قرطبة) ، مشاهد من سير قادة الجهاد والفتح ، وصوراً من بطولاتهم وانتصاراتهم وما كان لها من آثار إيجابية على الأندلس ، وهذا هو ما أضفى عليها ، فضلاً عن طولها ، طابعًا ملحميًا نظر إليها من سماها (ملاحم)(٨) .

على أن هذه الثلاث الطوال الأندلسية في شعر عبدالله بلخير تدلنا، ومثلها ، بلا شك ، الأربع التي لم تصدر بعد ، على هيمنة التاريخ الإسلامي ، بأزمنته وأمكنته ، وشخصياته ووقائعه ، مشرقية ومغربية ، على نفس الشاعر وخياله ، وهو ما عبر عنه بقوله يتحدث عن أشعار له استلهم فيها أمكنة مغربية ، من خلال شخصياتها ووقائعها ، مثل (فاس) ، و (سبتة) ، و (جبل طارق) ، و (تونس) بكونها (تقوم على الوصف التاريخي، لأني آخذ من التاريخ وأعب منه عبا)(٩).

وأما النص الثاني المطول من الشعر السعودي الأندلسي فهو نص مسرحي كتبه الشاعر حسين سراج بعنوان (غرام ولادة)(١٠). مستلهمًا فيه ، على نحو ما كان يصنع غيره من شعراء الرومانسية وكتابها في مختلف الآداب ، التاريخ ومروياته عن قصص العشاق والمحبين الشهيرة ، فكان له أن شخص من خلال وقائع مسرحيته وشخوصها، وخاصة بطليها (ولادة) الشاعرة الأميرة وابن زيدون الشاعر الوزير ألوانًا من حياة الأندلس النفسية ، والشعورية ، والسياسية ، كل ذلك في سياق شعري بارع وشائق على طوله وتعدد أصواته ، أمتعت قراءها بـه، أو بما عبر عنه مقدمها الأستاذ محمود تيمور، من (وجدانية عذبة المشرب ، ومن شاعرية حريرية النسج)(١١) .

ويوسع الناظر في هذه المادة الشعرية التي لامست ، بشكل أو بآخر ، أندلس الفتح والنزح ، وأندلس الوهج والسقوط أن يلحظ ، في غير ما عسر ولا عناء، تحاور الماضي والحاضر ، ما كان وما هو كائن، في وعي الشاعر ووجدانه حتى إنه ليمكننا القول بأنه ما من نص شعري سعودي طاف بالأندلس إلا وكان صاحبه ينظر بعين إلى ما

مضى وانقضى من تاريخ الأمة الإسلامية هنالك ، وبأخرى إلى ما يشخص ومثل من تاريخها في الآونة الراهنة ، ومن هنا ندرك عمق الإحساس عند الشاعر بجريان (التاريخ) وتدفقه في حياة الأمة ، بفصوله (المطوية) و (المنشورة) بما حوت هذه وتلك من (مشاهد) يضحك المرء قليلاً لمرآها ويبكي كثيرا . ومن هنا ندرك السر في تباين (نغمة) هذا النص ، فهي ، حينًا ، ندية شذية ، وهي ، حينًا آخر ، يائسة شجية ، كأنما هذه وتلك من إفراز (حالات) شعورية متعددة تتلبس نفسية الشاعر وتلون خطابه بألوان فاتحة من انشراح يغمره تارة ، وغامضة ، أخرى ، من انقباض يعتصره وهو يذرع ، في لهاث جريح ، سهوب الزمن ونجوده ، يفكر ، بالشعر ، في ماض أندلسي أفل بغرناطة ، وحاضر (أندلسي) يمثل في واقع المسلمين حيثما كانوا من مشرق الأرض ومغربها .

إن ما وقع لنا من المتن الشعري السعودي - الأندلسي ينتظم في نصوصه ، بمختلف صيغها وأشكالها ، جملة (ثنائيات) نابعة من رحم التجربتين : الذاتية عند الشاعر والموضوعية في تاريخ أمته : أمسه ويومه .

ولعل أبرز تلك (الثنائيات) اثنتان :

أ - ثنائية الانشراح والانقباض :

في التاريخ الأندلسي نفسه جملة (ثنائيات) تتجلى في غير ما مشهد من مشاهده السياسية ، والاجتماعية ، والأدبية ، ففي المشهد السياسي تطالعك ثنائية (الوحدة والفرقة)(١٢)، وفي المشهد

الإجتماعي تسترعي نظرك ثنائية (البذخ والشظف)(١٣) ، وفي المشهد الحربي تستوقفك ثنائية (النصر والهزيمة)(١٤) . وكان لهذه (الثنائيات)، وغيرها مما لم نذكر ، انعكاسات إيجابية وأخرى سلبية على صورة الأندلس بما ضاء من ملامحها وما بهت ، وما سحرت به الأعين من ذلك أو نفرت به الأنفس .

ومن نبع هذه (الثنائيات) وما كان لها من آثار ومعطيات على التاريخ الإسلامي بالأندلس تدفقت ثنائية (الانشراح) بصيبه و (الانقباض) من جهامه في وجدان الشاعر السعودي لتنبجس بين أنامله وتندلق من محبرته أشعارًا ، بعضها تمجيد وإشادة ، وبعضها تبكيت وإدانة .

وهكذا تطالعنا في الخطاب الشعري السعودي-الأندلسي ضروب من التمجيد وصنوف لم تدع ضربًا إلا تباهت به ولا صنفًا إلا فاخرت به . على أن هذه الصنوف والضروب من التمجيد يمكن جمعها في إطار واحد يسعها ويجليها ، وهو ما يمكن تسميته بـ(الفعل الحضاري) بدءًا من فعل الجهاد الأكبر وما نجم عنه من معطيات للجهاد الأصغر في مجالات الفعل الإبداعي المختلفة والمتعددة . وكل فعل من هذه الأفعال يشف ، من جهة ، عن جماع الخلال النفسية والخصال العقلية عند منجزيه ، ومن أخرى ، عن توهجهم به في ذاكرة الزمن وخلد الدهر .

ونبدأ بالفعل الأول ، وهو فعل الجهاد الذي تم به فتح الجزيرة ، واستتب به الإسلام ، شرعة ومنهاجا ، على أرضها ، وظل ، أي فعل الجهاد ، (شارة) تاريخ هذه البلاد على توالي الحقب والعصور .

وفعل الجهاد ، كما تدل عليه مقاصده ، فعل حضاري ؛ بل هو يأتي ، في التصور الإسلامي ، على رأس الأفعال الحضارية ؛ لأن به تقوم دولة الحق تكرس في حياة الناس القيم الهادية من عدل وحرية . وهما أساس كل بناء حضاري سوي .

وإذا ذكر فعل الجهاد في تاريخ الأندلس انثالت على الذاكرة أسماء ذات بهاء وألق ، كان لأصحابها فضل صياغة ذلك الفعل وإنجازه . ويتصدر هذه الأسماء اسم الفاتح العظيم طارق بن زياد . ولعل أطول وقفة تمجيد ظفر بها هذا القائد الفاتح في الخطاب الشعري السعودي هي تلك التي خصه بها الشاعر عبدالله بلخير في مطولته التي أنشأها فيه ، وأحاط فيها بشخصيته في مختلف أبعادها الإيمانية ، والخلقية ، والقيادية . ومن ذلك قوله :

ودوى الأذان على مشارف صخرة الـ   فتح المبين كأنه استنفار
فإذا الجحافل حول طارق تملأ الـ   ميدان فيها النصر والأنصار
صلى فكبرت الجموع وراءه   فاهتزت الآكام والأشجار
وتلا فأمنت الصفوف كأنها   سحب تعالى عدها المور
ودعا فرددت الصوارم والقنا الـ   تأمين تروي رجعها لأغوار(١٥)

وفي مشهد نابض بالحياة والحركة يرسم لنا الشاعر جوانب من حزم طارق وعزمه :

ألقى على الفرسان نظرة فارس   كالصقر أقوى خلقه الإبصار
ورمى بعينيه الفيالق حوله   فإذا بها مثل الجبال كبار
وأجال في الرايات طرف محارب   فإذا السهول أسنة وشفار

يختار ما بين الصفوف كأنه   فيها وبين صفوفها صقار
والضفتان عليهما الفرسان في   زرد الحديد كأنهم أقمار
وعليه من نظرات جحفله الولا   والحب والإجلال والإكبار(١٦)

على أن بلخير لم ينفرد بتمجيد فعل الجهاد والفتح من خلال شخصية طارق ؛ بل شاركه في ذلك غيره من الشعراء ؛ بل إنه يمكن القول بأن تمجيد هذا الفعل وما تمخض عنه من آثار حضارية هامة في حياة الأندلس كان قاسمًا مشتركًا بين عدد من الشعراء من مثل الشاعر حسين سرحان في قوله مصورًا شجاعة طارق وصحبه :

قا قد أراني والزمان على مدى   والشمس تؤذن في الصباح بشارق
وكتيبة ابن زياد فوق أديمه   والسفن بين محرق أو غارق
ورنا إليهم ثم أرسل صيحة   نكراء ذات حفائظ وشقائق
أعظم بأكرم ما دعا متلقف   عن قائل أو سامع عن ناطق
ومشوا كما تمشي الروائس من عل   وكأنهم يطؤون فوق نمارق
ومضى العدو موليًا أدباره   متفيئًا ظل الغراب الناعق(١٧)

وعلى هذا النحو خاطب أحمد عبد الغفور عطار جبل الفتح مشيدًا بشموخه الذي استمده من عزم وإرادة طارق وصحبه ، وممجدًا تسابقهم إلى ميدان المعركة :

قرت بصخرك من إرادة طارق   روح شمخت بها وعزم مفعم
من يوم أن وطئ الجزيرة فاتحا   لم تستذل وهل يذل الضيغم
الذي يخشى بأس قوم آمنوا   بعقيدة تفدى ورأي يدعم
يتسابقون إلى الجهاد وطارق   يذكي الحماسة في النفوس ويضرم(١٨)

وبعد أن يصور الشاعر أثر خطبة طارق في نفوس جند الفتح يبلور المقصد الحضاري من الفتح وانعكاسه على الأندلس :

البحر خلفكم سعير مضرم والموت دونكم طريق مبهم
فاستبسلوا فالنصر في أيديكم واستأسدوا فلأنتم من يحكم
فرموا عدوهم بجنة يعرب الفرد منها صخرة لا تحطم
وتملكوها لا طماعية بها لكن لتنتظم البلاد الأنعم
وتبدلت تلك القفار حدائقا يختال فيها البلبل المترنم(١٩)

وإلى هذا المقصد نفسه يلمح الشاعر محمد حسن فقي في أبيات له من قصيدته (في ظلال الأندلس) يقول فيها :

جئنا إليهم رحمة وكرامة يمشي أمام جيوشها الترحيب
لكأننا كنا مناط رجائهم في أن تزول مظالم وكروب
كأنهم كانوا لفرط بلائهم مرضى أتاهم بالشفاء طبيب(٢٠)

ومثل هذا وذاك يستشفه القارىء من قول الشاعر مطلق الثبيتي في قصيدته (عيد في مدريد) :

كانت لنا في ربى مدريد ألوية يقودها ها هنا الغر الصناديد
ويزرعون زهور الحب في ثقة وفعلهم في ذرى التاريخ محمود
نور أفاض على (البرنية) رونقه وغازلته وهامت فيه مدريد(٢١)

ويؤكد الشاعر زاهر الألمعي ، وهو في عاصمة المغرب (رباط الفتح)، على هذا الأثر الحضاري الذي تحقق للأندلس بفضل الفتح الإسلامي الذي قاده طارق :

أنا في أرض سما المجد بها   ونمت أيامه في كل آن
فاذكروا القادات في راياتها   عندما خاضت عباب المعمعان
وتسامى طارق في أوجها   يتخطى فوق أطراف السنان
واستقامت في ربى أندلس   جنة الدنيا ونبراس المغاني
يا رفاق المجد قد مدت بنا   وثبة للشاطئ الحاني الجنان
أنا إن حلقت في الأفق وإن   غصت في الأعماق فالمجد جماني
ألمح الشطآن من أندلس   و (ابن زيدون) أمامي و(ابن هاني)
فاذكروا بالفخر أرباب النهى   من رقوا فيه إلى أسنى مكان(٢٢)

ويتطلع الشاعر حسين عرب بدوره إلى جبل الفتح فلا يرى فيه إلا همة طارق التي سطرت للتاريخ كل عظيمة :

وما الطود إلا همة طارقية   أحاطت بأسرار القرون القوادم
وما هي إلا ذروة عربية   تسجل للتاريخ معنى العظائم(٢٣)

ثم يتلفت إلى القائد الفاتح ليخاطبه ممجداً ما سطره للتاريخ من حروف العظائم :

فيا طارق انظر إن في كل موقف   طوارق تحمي الغاب صولة غاشم
تنصبت بين الشرق والغرب ذروة   تعلم فيها الطير نهب الجماجم
وسطرت للتاريخ كل عظيمة   تفسر للأجيال معنى العظائم(٢٤)

وقد عبر الشاعر عبدالرحمن العشماوي عن إحساسه بالرضى والانشراح وهو يرنو إلى الحمراء ويتمثل مسيرة الفتح بقيادة طارق :

لم تزل قي ثراك نكهة أمجا   د أثارت صوت الرضى في قصيدي
وعلى السفح طارق بن زياد   أريحي الخطى سليل الأسود
وخطى جنده أحاديث نصر   ولسان الثرى حكاية عيد(٥٢)

ومثلما كان فعل الجهاد الذي تألقت به سيرة طارق بن زياد مبعث انشراح ورضى في نفس الشاعر السعودي بلورهما فيما مجد من خلقه وفعله وفيما صور من آثار جهاده الحضارية على الأندلس كان فعل تأسيس دولة الوحدة والجماعة في سيرة قائد آخر هو الأمير الأموي عبدالرحمن بن هشام بن مروان الملقب بـ (صقر قريش) مثار انشراح ورضى كذلك عند هذا الشاعر عبر عنهما بألوان من الإشادة بخلال هذا الأمير وصفاته وتمجيد آثاره العسكرية ، والسياسية ، والحضارية في الأندلس على نحو ما نقرأ عند الشاعر عبدالله بلخير :

سلام على باني شوامخ مجدها   وصقر قريش من تعالى توثبا
يفوح بعرف الطيب مفرق رأسه   وفي كفه السيف الذي ما نبا
وحامل أضواء الحضارة مشعلا   بها في أوربا ما أنار وهذبا(٢٦)

وعند الشاعر محمد حسن فقي منوهًا بشجاعته وتأسيسه إمارة جامعة بدد بها العصاة والمناوئين :

الصقر حط رحاله فتبددت   زمر البغاث فما لهن نصيب
ومضى الشجاع بمجده و بكسبه   ومضى الجبان وقلبه منخوب
قد شيد الترغيب ملك أمية   حقبًا وشيد ملكه الترهيب(٢٧)

أما الشاعر خير الدين الزركلي فقد أفرد (صقر قريش) بقصيدة طويلة شارفت تسعين بيتًا استعرض في مقاطعها صورًا من معاناته في سبيل العلا والمجد ، لم يمنعه يتمه ولا فتاء سنة من طلبهما :

ما صده اليتم طفلا عن مطامحه   بل زاده اليتم تأميلا وتمكينا

ومن تكن خلصت للمجد نيته   أصاب نجحا على الأيام مضمونا

للّه نفس أبت إلا السرى قدما   بربها تتوقى العاب والهونا

كبيرة رضعت أخلاف سؤددها   في المهد واتشحت برد النبيينا(٢٨)

وفي تصوير بديع نقل إلينا الشاعر ، بلغة تقطر إعجابا بالصقر وتنضح تقديرًا لعزيمته وإرادته ، مشاهد من رحلة المجد عبر السهوب والنجود من مشرقه إلى المغرب حتى تحقق له ما أراد :

خاض الفرات سبوحا غير مضطرب   مبارك السعي والإيغال ميمونا

سرى وحيدًا على اسم اللّه سيرته   متيما بابتناء المجد مفتونا

سعيا تحار له الأفلاك متصلا   يسابق الريح فيه لا الشواهينا

والخيل في جنبات البر حائمة   حوم النسور بفرسان مغيرينا

يبغونه وهو يطوي البيد شاسعة   مجلببا بظلام الليل مدفونا

حتى إذا غلغلت في الغرب صيحته   وأقبل الناس باسم «الصقر» يدعونا

أهوى وأهووا، وجازالبحر فانحدروا   يواصلون خطاهم غير وانينا

ثاروا فصاروا إلى جنات قرطبة   مدججين كماة لا يهابونا

في فتية رفعوا شم الأنوف على   عادي الصروف مقاحيم ميامينا
حيث استقام له ما كان مهده   (بدر) وفت بأعضاد المناوينا(٢٩)

ويمتدح الشاعر في « الصقر » مضاء إرادته وثبات عزيمته اللذين حقق بهما للأندلس وحدة بعد شتات :

إرادة تستنزل العصم ماضية   وعزمة تصدع الأطواد تهوينا(٣٠)

ويختم الشاعر مطولته بالدعاء لصقر قريش كفاء ما أسدى من أياد بيضاء سنية للأندلس ولدولة الإسلام بها :

نم شامخًا في الثرى، جبار أندلس   واصحب بروحك ميكالا وجبرينا(٣١)

ولقد نهض البيت الأموي في الأندلس ، كما هو معلوم ، بدور حقيقي ومثمر ، على مدى قرنين ويزيد ، في غير ما مجال من مجالات السياسة ، والعلم ، والأدب ، مما تحقق بفضله للبلاد نهضة حضارية شاملة لا تزال آثارها ، مادية وغير مادية ، شاهدة عليها إلى يوم الناس هذا . من هنا منطلق الإعجاب ، المقرون بالانشراح والرضى ، عند الشاعر السعودي ليس ، فقط ، بالصقر ، مؤسس هذا البيت ، على نحو ما رأينا في شعر بلخير ، وفقي ، والزركلي ، ولكن بالأسرة ككل بوصفها رمزًا لمجد الأندلس المؤثل . ولنستمع إلى سراج وهو يجري على لسان « بشر » ، أحد شخوص مسرحيته ، هذا التمجيد المضمخ بالمودة والتقدير لهذا البيت وسليلته الأميرة ولادة :

حييت يا ربة الوادي ونعمته   وبابنة الصيد من رباك نفحته
لولا أمية ما كنا وكان لنا   مجد تطل على الأجيال رفعته(٣٢)

ورأى فقي جوهر هذا المجد الأندلسي في ظل بني أمية متمثلاً في قيام دولتهم على العدل :

لم يعرف الإرهاب حكم أمية أو يعرف الإجداب فيه خصيب
كانت محاكمهم عدالة مقتض يجد الغياث بسوحها المكروب(٣٣)

ويصور بلخير فضل هذه الأسرة بما أفاضت من أمجاد ليس ، فقط ، على الأندلس ، ولكن ، كذلك ، على « أوروبا » :

مجرة ملك أشرقت بضيائه وجرت من الأمجاد مجدا تغلبا
تعرفت « أوربا » الحياة بظله مباهج..ما أحلى رؤاها وأعذبا(٣٤)

وفي مجال الفعل الحضاري التفت الشاعر السعودي إلى منجزيه من العلماء والأدباء ، والشعراء ، فصور ، في إعجاب غامر ، وبريشة بارعة ، حلقهم العلمية المنيفة ومجالسهم الأدبية الرفيعة على نحو ما نرى في هذا المشهد الحي الذي رسمه الشاعر بلخير لعالم الأندلس وحكيمها « ابن رشد » وهو يقرر للمعارف ، ويؤصل للعلوم :

وأبصرت شيخا قد تحلق حوله المريدون ، ما أبهى محياه أشهبا
وقالوا :«ابن رشد» قلت: شيخ زمانه وأعجوبة الإسلام علما ومنصبا
وشيخ شيوخ الفكر في الغرب كلهم يسيرون في مسراه عقلا ومشربا
أصخت بسمعي نحوه فإذا به يموج بما يملي عليهم مصوبا
تربيت في إملائه متهدجا يردد ما يروي بيانا مرتبا
يخب وراه الكاتبون ليكتبوا أمالي قد أفضى بها متشعبا

ففاضت عليهم من نهاه بما به   تمرس في هذي الحياة وجربا
يبرهن أن اللّه جل جلاله   برى سنن الأكوان سلبا وموجبا
وألف منها ما تنافر فاستوى (الـ   وجود) على ما قد أراد وركبا
ويمضي على هذا البيان كأنه   سحابة غيث في يفاع قد أجدبا(٣٥)

وبهذا الإعجاب الغامر والريشة البارعة رسم الشاعر مشهداً آخر يبدو فيه فقيه قرطبة الشهير وشاعرها « ابن حزم » يقرئ طلابه من علومه، وينشدهم من أشعاره :

رأيت «ابن حزم» ذاع في الدرس صوته   يقرر ماأشجى القلوب وما سبى
تعالى فأصغى السامعون فخلت ما   تعالى انهمارالغيث أروى وأخصبا
يحف به طلابه فهو بينهم   يردد ما أفضى به وتأهبا
يشع جلال العل فوق جبينه   يفوح بعرف من تقاه مطيبا
وينشد من شعر الجمال طرائفا   يبل بها يبس القلوب مرطبا
يرش بها أكباد صب وعاشق   بطل من الحب الطهور تصببا
ويروي بها أصداء كل بصيرة   ويجلي عن الأبصار ما قد تحجبا
تضوع في «طوق الحمامة» شجوه   فأروى به من كان أظما وأسغبا
وأسبغ فيه من طيوف خوالج النـ   فوس صفاء بالسماح مشربا(٣٦)

إن أمثال « ابن رشد » من علماء الأندلس وأدبائها هم الذين أصبحت بهم حواضرها كعبة طلاب العلم ، والمعرفة ، والأدب ، يحج إليها مسلموهم ومسيحيوهم على حد سواء ، وهذا هو ما صوره لنا بلخير بقوله :

كانت الأرض كلها تتلاقى   حول أبوابها ومن كل جنس
تتلقى العلم الغزير على أعـ   ـلامها الغر من إمام وكيس(٣٧)

وعلى نحو ما ملأت هذه المجالس العلمية والأدبية بأنفاسها العطرة ، وأشذائها العبقة على شاعرنا بلخير سمعه وبصره وفؤاده فإذا به يجري ريشته بتشخيصها في مشاهد أخاذة بألوانها وحركاتها، جذبت إليها أنظار غيره من الشعراء فإذا بهم ، وقد سحرت أعينهم واستهوت قلوبهم ، يجسدونها ، صنيع بلخير ، في لوحات تمور بالحياة والحركة . ومن ذلك قول حسين سراج عن مجلس « ولادة » الأدبي على لسان أحد شخوص المسرحية يخاطب آخر :

أرى السامر يا « بشر »   كساه ، الليلة ، البشر
ففيه العلم مؤتلق   وفيه الشعر والنثر
وسادات غطارفة   وأعلام لهم ذكر(٣٨)

وعلى لسان « بشر » المخاطب في الأبيات الثلاثة يعبر الشاعر حسين سراج عن إعجابه بمجالس العلم والأدب الأندلسية بعامة ومجلس الأميرة الشاعرة ، « ولادة » بخاصة :

في صولة العز لم تشهد جزيرتنا   عهدا كهذا به للعلم سلطان
ظلاله الوارفات اليوم مبترد   ووِرده سائغ إن راد ظمآن
مجالس العلم والآداب حافلة   لا «مصر» تبلغها شأوا و «بغدان»
فهل بشرقهم ناد كندوتنا   وسامر فيه نظار وأعيان
وفتية كنسيم الفجر رقتهم   وشاعرون وقينات وندمان
تزينهم ربة المجد التليد ومن   بذكرها قد حدث بيد وركبان(٣٩)

أما الشاعر محمد هاشم رشيد فلا يقف عند هذا المجلس أو ذاك من مجالس العلم والأدب يصورها و ينوه بأعلامها على نحو ما رأينا عند بلخير وسراج ، ولكنه يختزل ذلك جميعه في صورة الأندلس – المنار المشع على الدنيا :

كانت على الدنيا منارا شامخا
غمر البسيطة نوره المتوهج
وخميلة غناء ، عاطرة الشذى
يسبي المشاعر نفحها المتأرج
ولأعلام الفكر الخصيب يراعة
فاضت بأكرم منطق وبيان
وتألقت فيها الثقافة والتقى
فيها الهدى بالعلم والعرفان(٤٠)

وهل يكون لنا أن نعتبر « ابن ماجد » ، ملاح الأندلس الذي أبحر في كل البحار ، في قصيدة (جغرافية الرقاب) للشاعر صالح الزهراني ، رمزاً ، مثل منار محمد هاشم رشيد ، لخروج أندلس الحضارة عن « جغرافيتها » تمخر أثباج كل البحار ، مع « ماجد » ، باتجاه كل الشاسعات من الآفاق :

وعلى الأشرعة البيضاء « رأس السندباد »
و « ابن ماجد »
يرسم الدائرة الأولى لبيت العنكبوت

يرسم المدخل، والمخــرج ، والأبعــاد . صــوت الريح ، هزات المدارات، الضيقات ، مراسي الحزن ، وجه البحر ، أمواج السكوت

يقذف الحبل على هامة صياد فقير

فينادي : يا بن ماجد

كل ما أبغيه قوت

فيجيب البحر صمتًا ... « لن تموت »

يرتمي الموج سيوفا ، يستدير البحر في عيني « ابن ماجد »(٤١)

ومثلما انشرح الشاعر السعودي للفعل الجهادي والحضاري ، وانشرح لمنجزي هذا وذاك من القادة ، والعلماء ، والأدباء فأفاض على كل من انشراحه طيوب ثناء ، وفيوض حباء ، ألفيناه ينشرح للأمكنة التي احتضنت ، ولا يزال بعضها يحتضن آثار تلك « الأفعال » وذكريات منجزيها ، فمن وجد الراحلة والزاد خف إليها حيث هي ، ومن لم يجد راحلة ولا زاد ركب إليها جناح (مقروئه) وخياله ، ثم وقف عندها كما وقف الأول . فهذا الشاعر بلخير يضرب أكباد (القاطرات) من « باريس » إلى قرطبة ، يدفعه شوق عارم لمشاهدة عاصمة الإسلام وأمجاده في الأندلس ؛ بل في الغرب :

ترامــى بي الشــوق الملــح مغــربا

لعاصمة الإسلام في الغرب «قرطبا»

سرير ملوك العرب في فجر مجدهـم

على الأرض لما شع شــرقا ومغـربا(٤٢)

وهو إذا حل بها أحس بانتشاء وانشراح غامرين ، تفعم وجدانه أشذاء « طيبة » و « العقيق » ، و « قباء » كأن لا بحار ، ولا جبال ، ولا فيافي تفصل بين مهد الدولة الإسلامية النبوية وبين مهد دولة خلائف الإسلام من بني أمية :

وصيح مسرانا فحط قطارنا   بأندلس الإسلام أهلا ومرحبا
بقرطبة الفتح المبين التي سرى   بنا نحوها الشوق المصفق ملهبا
رفارف جنات تطاول ظلها   على صفحة النهر العريض مخضبا
يعطر ما فاحت به شرفاتها   من الروض ما فيه الندى قد تسربا
كأن به من عرف « طيبة » نفحة
من الطيب..من«وادي العقيق»
ومن« قبا »(٤٣)

حتى إذا انتهى إلى الجامع تم حلول الفرع في الأصل « قرطبة » في « يثرب » :

إلى الجامع الأقصى ، إلى المسجد الذي
تعلت به ، تزهو وتختال قرطبا
بقية ما أبقى الزمان وصانه
من المجد للإسلام والعرب واجتبى
فلما تراءى لي وقفت مسلما
يخيل لي أني أرى فيه يثربا(٤٤)

أما الشاعر عبدالسلام هاشم حافظ فيخف إلى « الزهراء » ليبثها هواه في رومانسية حالمة :

مع بسمة الفجر البهي صحا الشعور
وتفتح الإحساس يلتهم الشذى
يتفقد الأحلام في نفح الزهور
ويناغم « الزهراء » ألحان الهوى(٤٥)

ويقف الشاعر حسين سرحان محييًا جبل الفتح تحية إعجاب وتقدير لصلابته في مقاومة الذين أرادوا به كيدا ، رابطًا بين شموخه وشموخ صاحبه « طارق » :

حييت من جبل أشم شاهق   من معجب بك في جهادك وامق
وعليك أرزام الغمام ونوؤه   يسقي ترابك تحت ذيل البارق
يمتد طول معاصم وسواعد   ويزيد عرض مناكب وعواتق
تثب الجبال إلى الحلوق ويرتمي   وتدك بين منادح ومضايق
ويظل في اشمخراره متحديا   جذلان قيد الشاطيء المتعانق
لو كان صلبا لاستلان لقارع   أو كان روحا لاستجاب لعاشق
لكنه ذو همتين فذادتا   عنه ونهنهتا سهام الراشق
فتمهدت جنباته في أهله   واستحصدت عزماته من«طارق»
ونفخت بابن زياد في هضباته   روحا يطيح بكل طود سامق(٤٦)

على أن حال « الانشراح » عند الشاعر السعودي بما سحر عينيه وأخذ بلبه من مشاهد للفعل الحضاري التي أنجزها آباؤه

وأجداده على أرض الأندلس سرعان ما تزول عنه حين يعود إلى وعيه أو يعود إليه وعيه فيكتشف أن كل ما انشرح له غدا أثرًا بعد عين ، فما هي إلا أن تثور في نفسه مشاعر الحزن ، والحسرة ، والاكتئاب تعروه ، بسببها، حال « انقباض » ينفث قلمه بألوانها القاتمة ، وهو يتلوى يأسًا وقنوطًا، على حد ما نقرأ عند بلخير في هذه الأبيات يصور بها حال «الحزن» و «الظلمة» التي يغرق فيها «جامع قرطبة» :

أفقت فألفيت السواري يلفها من الحزن ما قد لفها منه مرهبا
حبيسات ماض مر يخشاه حاضر إذا ذكروا ما كان فيه تهربا
تماسكن في ذعر من الصمت مرجف كأن خيالاً مد نابا ومخلبا
أحطن بمحراب الصلاة ومنبر الـ إمامة فعل المستجير قد أرعبا
وقد أوصدت من حولهن نوافذ الـمصلى فأمسى كل نور محجبا(٤٧)

ومثل « الجامع » في حزنه وصمته « قرطبة » ؛ بل الأندلس :

وقفت على أطلالها فإذا بها   بلاقع قد جف الذي اهتز أو ربا
تحشرج أنفاسي بما اغرورقت به   عيوني كئيبا كاسف الباب متعبا
أردد في مثل اللظى بين أضلعي   أحس به كالجمر فيها تلهبا
فقدناك يا سلطانة المدن التي   بمغربها في الغرب سموه مغربا
طوى الدهر من عليا سماك مجرة النـ   ـجوم فأمسى ليل دنياك مرعبا
تهاوت صروح المجد فيك ودمرت   ذراه السوافي ثم راحت به هبا
كأن لم تكن تلك القرون مواكبا   من المجد تترى موكب أم موكبا(٤٨)

ومثل هذه الحال من « الانقباض » الذي عرا نفس الشاعر بلخير وهو يطوف بقرطبة ، ويدخل جامعها ، ويجوس خلال ديارها عرت غيره من الشعراء حين عاينوا ما عاين أو حضرتهم ذكرى مما عاين . فهذا الشاعر فقي يصور ما آلت إليه حال الأندلس في أسى وحزن بالغين :

تلك المآثر خلتهن مقابرا   رقدت بهن مفاخر وعيوب
رقد الفتوح المستعز وجنبه   رقدت مشارف أمة ونخوب
في كل حلق غصة ومرارة   وبكل نفس حسرة ولهيب
أجسامنا طابت بهن ندوبها   ونفوسنا استعصت بهن ندوب
كيف العزاء وقد تبدل مسجد   بكنيسة وتأله المصلوب
واستعجمت عرب وعاد نسيبها   علجا ، وأين من العلوج نسيب
للّه نكستنا بها ولربما   أعيا غضارفة العرين وثوب (٤٩)

وعلى لسان أحد شخوص مسرحية (غرام ولادة) يصور الشاعر

حسين سراج انقباضه من حال التمزق ، والتشتت ، والفرقة التي غرقت فيها الأندلس بعد زوال الخلافة الأموية ، فيقول :

إن السيوف أراها اليوم نائمة   وحاملوها لهم في لهوهم صخب
فأرضهم مزقت بين الطوائف من   أتباعهم وعيون «القوط» ترتقب
هذا على جاره إلب وذاك على   أخيه حرب ضروس ما لها سبب
وملك «قشتاة» يجتز أرضهم   مدينة تلو أخرى بئسما طلبوا
أجل سيأتي زمان قد تقام به   على معابدنا الأجراس والصلب
وسوف نطرد من هذي البلاد على   حال من الذل والأيام تنقلب(٥٠)

ويبلغ إحساس الشاعر محمد هاشم رشيد بالانقباض ذروته حين تسائله صاحبته :

أذكرت « أندلس » السليبة ؟ إنها
يا صاحبي ،، فردوسنا المفقود
ضاعت وليس لنا إلى استرجاعها
أمل يلوح صباحه الموعود (٥١)

فلا يملك إلا أن يجهش بالبكاء :

وبكيت ،، وبكيت ،، وطوف بي
في لجة دمعي المنسكب
طوفان يهذر ، بالشجن
وينوح ،، ينوح مدى الزمن

(لا غالب إلا الله) ،، بكت
في قلبي ،، وعليه انسكبت
دمعة ثكلى ، صرخة مسكين
ينشج ،، يعول ،، تحت السكين(٥٢)

وعبر متواليات استفهامية تتعثر في أشجان وأحزان أزلية يصور الشاعر مطلق الثبيتي ما تلبسه من « انقباض » وهو يقف على (أطلال) غرناطة :

غرناطة ، هل يعيد الروح أنشادي   للقصر ، للقمة الشماء ، للوادي ؟
لقلعة كانت الأمجاد تسكنها   أمجاد قومي وتاريخي وأمجادي؟
للزخارف، لجنات «العريف»،لمن   كانوا على البعد آبائي وأجدادي
وهل تعود إلى الحمراء بهجتها؟   وهل يعود « أبو الحجاج » للنادي؟
وهل يعود إلى الريحان رونقه   وينثر العطر في بهو السنا الهادي
وللسهول التي تمتد باسمة   كانت مراتع غزلان وآساد ؟
وهل تعود عروس الشعر راقصة   بين «ابن عمار» يوما و «ابن عباد»؟
وهل تعود إلى الأغصان نضرتها   حتى يغني عليها طيرنا الشادي؟(٥٣)

وعلى الشاطئ الشرقي ، أو (شاطيء الشمس) من الأندلس، وقف الشاعر ، مرة أخرى ، مثل وقفته الأولى ، منقبض الصدر ، دامع العين ، والمتتاليات الاستفهامية سياط تلهب ذاكرته ووجدانه بأن :

أين سرب المها وخضر الروابي؟ أين قصر الحمراء رحب الجناب؟
أين سيفي ، وعدتي ، وحصاني ؟ أين درعي ، وخنجري ، وحرابي؟
أين «موسى» ، و«طارق»، والجواري في «مضيق» تلفعت بالعباب؟
أين «صقر» مهاجر من «قريش» دوخ الدهر وهو غض الإهاب؟(٥٤)

ويصور عبدالله المعطاني هذا الانقباض الممض الذي ران على قلبه وهو يشاهد ما آلت إليه الأندلس من ذل بعد عز، وضعة بعد كرامة:

شاهدتها ثكلى تجعد وجهها وبدت عليها قسوة الآلام
خدشت كرامتها ومزق ثوبها وبكت مساجدها على الإسلام
فرجعت أدراجي أكسر حسرة كادت تؤجج أضلعي بضرام
وألف ثوب الذل فوق مخادعي متضائلاً من حسرتي وملامي
وتركتها ثكلى شجى أنينها تنوح في صمت بغير كلام(٥٥)

ب ـ ثنائية « الماضي الآفل والحاضر الماثل » :

أفضت ثنائية « الانشراح والانقباض » عند الشاعر السعودي وهو يتأمل الزمان الأندلسي ، والفعل الأندلسي ، والمكان الأندلسي إلى ثنائية أخرى تتنازعه طرفاها في غير ما إشفاق ولا رأفة ، تلك هي ثنائية « الماضي الآفل والحاضر الماثل » . إن ما انتاب الأندلس من ضعة بعد رفعة ، وما عرا أهلها من ذل بعد عز ، وما أصاب رايتها من انتكاس بعد خفقان ، نقل « الأندلس » من ماض آفل انطوى مع انطواء القرون إلى حاضر ماثل في واقع الأمة الإسلامية ، من مشرق أرضها إلى المغرب ، يصبح عليه الشاعر السعودي ويمسي فيروعه ما راعه في

ماضي الأندلس الآفل من غي بعد رشد ، وضلال بعد هدى ، وفرقة بعد وحدة ، وإذا به لا يملك إلا أن يدين فرقة المسلمين وخلفهم ، وهو ما مكن لعدوهم في أوطانهم . وهذا عبدالله بلخير يشجب واقع المسلمين المتردي في ماضي « الأندلس » الآفل و « حاضرها » الماثل ببلدانهم معدداً الأدواء التي نخرت وتنخر كيانهم من انحراف عن الجادة وفرقة في الصف ، وخلف في المبدإ ، وتداعي العدو عليهم مما ضمنه هذه الأبيات التي نسوقها لك كلها على طولها :

ألا أيها المجد الذي انهار صرحه   وأصبح ذكرى تبعث الهم مكربا
تعالى به الأجداد حتى سما بهم   وضيعه الأحفاد حتى تخربا
تنازع قواد «الطوائف» بينهم   وقد صال منهم كل من هب أو دبا
فتلقى على أنحاء كل ولاية   «أميرا» و«سلطانا» و«قيلا» و«مكربا»
يخوضون حربا قد صلتهم بنارها   فكانوا وقودا في لظاها ومكسبا
قبائل عادت للتنازع بينها   تناست من الإسلام دينا ومذهبا
أثارت شعار الجاهلية داميا   يقاتل «عدنان» على الحكم «يعربا»
قد انغمسوا في اللهو والفسق فانتهوا   به حين أمسى منذر القوم مذنبا
وأقبل طوفان «الفرنج» فأغرقت   أواذيه دنياهم ، طغى وتعقبا
تسيل بمن فر المسالك ناجيا   من الموت مذعور الجوانح متعبا
ألا أيها النوام والشر محدق   بأوطانهم أودى بها حين أرعبا
تفجر في أقطارنا وكأنه   البراكين تدوي بالدمار توثبا
تجمع فيه الأقوياء ، تحالفوا   علينا عداء منهم وتصلبا

تجمع فيه «الشرق» و«الغرب» كلهم   يحارب من منا لسلطانه أبى
وما اجتمعوا عبر القرون جميعهم   إذا اجتمعوا إلا علينا تعصبا
وما نحن فيه اليوم برهان ما مضى   ليؤمن من لاحى ومارى وكذبا
وعلتنا الكبرى هو وان صفوفنا   وضعف قوانا قد أصابا فأعطبا
ملايين مثل النمل لا في يراعها الـ   حياة على جهد الضعيف تدربا
ولكنه في العد كالرمل تعبث الـ   ـرياح به عبر الفيافي تقلبا
تموج به كثبانه في زعازع   يسمونها فيما تعب به الهبا
وها هي «إسرائيل» فوق صدورنا   وعما قريب سوف يبلغك النبا
يعيد بها الغرب المحارب دوره   علينا ، وهذا سيله بلغ الزبى
قد استل منا للجهاد حماسنا   فأوحى بما سمى«الجهاد»التعصبا
وآزرهم «إعلامنا» في احترامه   غباء عن الحق المبين تنكبا
وها هي دنيا المسلمين تدور في الأ   عاصير تجتاح الرواسي والربى
ففي كل قطر إقلاب تجمع «الر   فاق» عليه والمثير له اختبا
قد انتشرت في المسلمين عداوة الـ   مبادىء تلقى كل وجه مقطبا
كأنك تلقى فيه خصما محاربا   ينازع في حلقومك الروح مغضبا
كأن بنا من لعنة اللّه ما بنا   فلا نلقى مما قد جنيناه نهربا(٥٦)

وتشخص « ثنائية » (الماضي الآفل والحاضر الماثل) بحدة بالغة في قصيدة (لا غالب إلا اللّه) للشاعر محمد هاشم رشيد حيث

يهتك الأستار عن الفجيعة الغائرة بحاضر أمته الكسيح مقارنًا بماضيها الأندلسي المتردي والمنهار ، فإذا به يرفع عقيرته يدين واقع العاهات في حياة الأمة ويسفه شعاراتها المفرغة من مضامينها :

(لا غالب إلا اللّه) ،، بكت
في قلبي ،، وعليه انسكبت
دمعة ثكلى ،، صرخة مسكين
ينشج ،، يعول تحت السكين
والأسد بقصر الحمراء
مهزلة تبحث عن راء
ورأيت الحاضر ،، والماضي
يا هند ،، بقايا ،، أنقاض
ونقول : الفردوس المفقود
والأفق .. طريق ،، مسدود
وعلى كل جبين ،، مأساه
تهتف : لا غالب إلا اللّه
أي فردوس ، وفي كل ربيع
معقل يهوي ، وفردوس يضيع
والروابي الخضر في أرض الهدى
غالها الجدب ، ورواها النجيع

وحماة الحق أمسوا مزقا
فشريد ، أو سجين ، أو صريع
أي فردوس ؟ وفي كل مكان
تزأر النار ، وينداح الدخان
الكيان الصلب أمسى مزقا
في متاهات المآسي ،، والهوان
والدم المسلم مسفوك على
كل أرض ، وعلى كل سنان
لم يعد يملك حتى صوته
فإذا احتيج فرعديد ،، جبان
أي فردوس ؟ فراديس الهدى
يا بنة الإسلام أشلاء نثيره
وطلول قد تغشاها البلى
وسرت فيها الترانيم الكسيرة(٥٧)

ويدين الشاعر حيدر الغدير مواقف الاستسلام والانهزامية في حاضر المسلمين الماثل من خلال إدانة والدة أبي عبداللّه الصغير ، آخر سلاطين بني الأحمر ، لانهزاميته واستسلامه :

أنا الفارس المفجوع فيما صنعته   وأنت كعاب في إزار منعم
ألا فابك مثل الغيد ملكا أضعته   وما صنته عن عفة وتكرم
ألا مت كالشجعان في حومة الوغى   وأهرقت للإسلام غالية الدم

وموتك في الحمراء عرس أحبه   ورفة نعمي كالرحيق المختم
ولو مت مقداما لمت مخلدا   وصرت نشيدا كالزغاريد في فمي
وخلت بين المسلمين كحمرة   وكفنت في برديك ، غسلت بالدم(٥٨)

وهذا الشاعر خير الدين الزركلي يقف بأطلال قرطبة الشاهدة على ماضيها الآفل فتتراءى له ، من خلال الدموع التي اغرورقت بها عيناه ، صورتها وقد جثم غاصبها على صدرها ، في دمشق المعولة الثكلى في حاضرها الماثل :

يا دمعة لي في أطلال قرطبة   أثرت لاعج وجد كان مخزونا
إغفاءة ذهبت بالملك أجمعه   وخلفته بأيدي الهون مرهونا
دمشق معولة ثكلى وقرطبة   تستنزف الدم دمعا من مآقينا
من مبلغ « الأموي » اليوم أنهما   مراتع الغاصبين الأجنبيينا(٥٩)

ورأى الشاعر أحمد الصالح أنه لن يصلح حاضر الأمة الماثل للعيان بتردياته إلا بما صلح به ماضي الأندلس بتردياته الأولى ، وذلك بخروج « صقر قريش » يحمل النصر والفتح :

يخرج من أصلاب « أمية »
« صقر قريش »
يخرج نبت الأرض خيولا
تحمل هم « القدس »
وحزن الناس

وتحمل أغلى جيش

يأتي نصر اللّه قريبا

يأتي الفتح

يأتي مثل طلوع الشمس(٦٠)

وإذ يدخل الشاعر مطلق الثبيتي غرناطة يذكر ماضيها الآفل زمن الانتكاس والسقوط ، ويذكر ، بأن ، حاضر أمته الماثل ، فتروعه نذر الانتكاس والسقوط بما يعيث العدو في وطنه الإسلامي من فساد ، ويصيح بملء صوته مستنهضًا « أبا الحجاج » ، من سلاطين بني نصر الذين قاوموا المد الصليبي ذيادًا عن بيضة الإسلام وهوية المسلمين في الأندلس « أن انهض يا أبا الحجاج تغير ما بنا » :

وقفت فيها وكان الصمت يلبسها

كأنني بين نساك وعباد

فما رأيت أبا الحجاج يعمرها

وما رأيت بها بهوا لمرتاد

ناديته وعيون القوم ترمقني

انهض فقد عاث فينا الغاشم العادي(٦١)

* * *

ومن الميسور لمن يقرأ هذا النص الشعري السعودي الأندلسي ، الذي اقتطفنا منه « شواهد » في الفقرات السابقة ، أن يلحظ ، فيما قد يلحظ ، أمرين إثنين : أولهما توحد رؤاه الشعرية ، وثانيهما تعدد مستوياته الفنية . ففيما يتعلق بالرؤى الشعرية ، وخاصة في بعدها التصوري والفكري ، علما بأن البعد الآخر للرؤية الشعرية ، وهو البعد الفني الإبداعي ملتحم بالأول ، رؤى إسلامية الحمة والسدى ، لا استثناء ولا محاشاة ، ومرد ذلك إلى أن انتماء الشعراء العقدي واحد، كما أن مرجعيتهم الثقافية واحدة ، وكلاهما نابع من قيم الإسلام ومثله كما بلورها الأصلان الكتاب والسنة . ووفق تلك القيم والمثل تترامى رقعة « الوطن » أمام ناظري الشاعر المسلم لتشمل مجموع البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها . ومن هنا يسع انتماؤه «الوطني» كل وطن إسلامي حيثما كان موقعه من شرق الأرض أو مغربها ، ومن هنا وجدنا الشاعر السعودي يعلن انتماءه الأندلسي .

فهذا الشاعر محمد حسن فقي يرفض أن يكون غريبًا عن وطنه ؛ الأندلس وملامحه من ألوان ترابها وسمائها :

هذي ملامحنا فما من مشهد   إلا أطل به عليك قريب
لست الغريب بها فإن سماءها   وترابها وطن إليك حبيب(٦٢)

وهذا الشاعر مطلق الثبيتي يؤكد أصله الأندلسي في فخار وتباه:

كان جدي هناك يزرع حبا   بين «زلاقة» و «تل العقاب»
فالجبال الشماء فيها جبالي   والتراب النقي فيها ترابي
«شاطئ الشمس » كله كان ملكي   ومغاني طفولتي وشبابي(٦٣)

وهو لا يفتأ يؤكد ذلك ويلح عليه كلما سنحت له الفرصة المواتية:

جاءت إليه وفي أحداقها ألق
غيداء مترفة يحسدنها الغيد
قالت : غريب؟ فقال: الأرض تعرفني
والدار تعرفني والبيض والسود(٦٤)

وهذا الشاعر محمد حسن عواد يرفع صوته يتباهى بأصله العربي الأندلسي :

«أول» يا عذراء مدريد التي هتف القلب لها دون العذارى
إن آباءك آبائي الألى أعطوا الدنيا وأعطونا الفخارا(٦٥)

وقبل آصرة الدم وبعدها اعتبر الشاعر السعودي انتماءه الأندلسي قائما على آصرة العقيدة التي بلورتها قيمها البانية ، وهذا هو ما عناه الشاعر عبدالسلام هاشم حافظ :

إليك أندلسا نزجي تحيتنا يضمك فيك تاريخ من القيم
هيا نعيد تراث الفخر ثانية نحقق الأمل المرجو من قدم
يا بنت أندلس أدعوك للقمم أيا أخت روحي و يا عربية
بأقصى الديار ، بذاك المحيط لقد كنت لنا يومًا يعربية
بإسلامك الطهر يزهو المحيط(٦٦)

أما الشاعر زاهر الألمعي فقد أفصح عن هذا الانتماء العقدي مقرونًا بلغته العربية ، فقال فيما يشبه التمهيد لحديث الأندلس في قصيدة يحيي فيها المغرب :

أنا في الشرق في الغرب معًا   ديني الإسلام والفصحى لساني
وحد الإسلام من راياتنا   وبنانا للدنا خير كيان(٦٧)

وقد انعكست الرؤية التصورية التي يصدر عنها الشاعر السعودي على خطابه الشعري الأندلسي فأبانت عن التزام صاحبه بقضايا أمته الإسلامية ، وكشفت عن التحام وجدانه الفردي بوجدان أمته ، ولعل في «ثنائية» (الماضي الآفل والحاضر الماثل) فيما ضربناه من أمثلة لها في أشعاره ما يجليه خير تجلية ، كما أن توظيفه لرموز من تاريخ الأندلس في شعره ، على نحو ما رأينا عند صالح الزهراني ، وأحمد الصالح ، ومطلق الثبيتي ، هو من أثر هذه الرؤية في توجيه النظر إلى التاريخ الإسلامي والذاكرة الثقافية الإسلامية لامتياح الرموز من شخصياتها ، ووقائعها ، وأمكنتها . ولا شك أن هذه العناصر ، مضافًا إليها ، عناصر أخرى معجمية ، ودلالية، وتركيبية بلورت رؤيته هذه بما لا يحتاج إلى بيان .

وأما المستويات الفنية في هذه الأشعار ، فهي ، كما لا يخفى على قارئها ، متعددة لتفاوتها في حظوظها من عناصر الإبداع الأسلوبية ، واللغوية ، والخيالية ، والإيقاعية . فعلى حين تشيع (التقريرية) الواصفة، وتضمر اللغة الجمالية في بعض النصوص مثل ما نجد عند بلخير وفقي يقوى عنصر التصوير ، وينشط الخيال ، وتهيمن اللغة الجمالية بكل حمولتها المعجمية ، والتركيبية ، والدلالية على نصوص أخرى من مثل ما رأينا عند الزركلي ، وسراج ، ورشيد . ولعلنا في غنى عن التنبيه إلى أن هذا القول في المستويات الفنية عند

هؤلاء الشعراء مقصور على ما نظرنا إليه في هذا البحث من نصوصهم .

ومع هذا التفاوت في مستويات هذه النصوص الفنية فإنها ، أو بعضها بالأصح تماثل ، بحكم تمحوره حول موضوع رئيس هو (الأندلس) ، في بعض عناصره التشكيلية وخاصة منها اللغوية في بعدها المعجمي والدلالي . كما أنها ، ولنفس السبب المذكور ، أفادت من (النص الآخر) حول الموضوع ذاته أو ما له به صلة . وبذلك تواصلت ، عبر (سياقها) الأندلسي ، بجملة نصوص ، منه ما هو تراثي ذو إيحاءات وظلال في الفضاء الأندلسي ، وذلك على نحو ما نجد عند عطار في قصيدته عن (جبل طارق) يمتاح فيها من قول هذا القائد في خطبة الفتح الشهيرة يذكي الحماس في نفوس جنده المجاهدين (البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم واللّه إلا الصدق والصبر) :

البحر خلفكم سعير مضرم   والموت دونكم طريق مبهم
فاستبسلوا فالنصر في أيديكم   واستأسدوا فلأنتم من يحكم(٦٨)

ومن ذلك قول حيدر الغدير في قصيدته (حسرة العربي) يوظف العبارة (التراثية) التي أدانت بها والده أبي عبداللّه الصغير ، آخر ملوك بني نصر بغرناطة ، سلبيته وانهزاميته (ابك كالنساء ملكا لم تحافظ عليه كالرجال) :

ألا فابك مثل الغيد ملكا أضعته   وما صنته عن عفة وتكرم (٦٩)

كما تواصلت بعض النصوص بنصوص أخرى مما صور به الشاعر العربي المعاصر تجربته (الأندلسية) . ونمثل لذلك بما طالعنا في غير ما نص من حديث التباهي والانتشاء عند الشاعر السعودي عن آبائه وأجداده في الأندلس يسوقه في حوار يجري بينه وبين غادة إسبانية ذات أصل أندلسي تجهل أصله العربي . ومن هذا قول القرشي في قصيدته (وتسألين من أنا ؟) :

وتسألين من أنا ما كنت مجهول السنى
إني فتى من يعرب ومن قريش معدنا
. . .
وثم في أندلس كم ازدهت بنا الدنيا
بطحاؤنا اللؤلؤ والحسان من يخدمنا
نجذبهن كالفرا شات ونطوي الزمنا
أبعد هذا السؤدد اللماح يا فتنتنا
تستنكرين قيمتي وتسألين من أنا (٧٠)

ومن هذا القبيل أيضاً قول عواد في قصيدته (عذراء مدريد) :

« ألس فيدا » لست إسبانية
أنت من « سام » وأرض العطاء
من صحارى الشرق أصلا ثابتا
من بلاد الشمس ، من نبع الضياء
أنت من « قحطان » لحما ودما
وبيانا ، أفانين رواء

جاء آباؤك من تاريخنا
يوم سدنا الأرض عن أمر السماء (٧١)

وفي مقطع آخر من نفس القصيدة يعود الشاعر ليضرب على نفس الوتر :

« أول » يا عذراء مدريد التي
هتف القلب لها دون العذارى
إن آباءك آبائي الأولى
أعطوا الدنيا وأعطونا الفخارا(٧٢)

وشبيه بهذا وذاك ما نقرؤه عند مطلق الثبيتي في قصيدته (عيد في مدريد) :

جاءت إليه وفي أحداقها ألق   غيداء مترفة يحسدنها الغيد
قالت:غريب؟ فقال:الأرض تعرفني   والدار تعرفني والبيض والسود
كانت لنا في ربى مدريد ألوية   يقودها ها هنا الغر الصناديد
ويزرعون الحب في ثقة   وفعلهم في ذرا التاريخ محمود(٧٣)

والنصوص الثلاثة تفيد، بأسلوب أو آخر من أساليب « التناص »، من نصين شهيرين لشاعرين شهيرين . أما أولها فهو نص عمر أبي ريشة :

قلت: يا حسناء، من أنت، ومن   أي دوح أفرع الغصن وطالا؟
فرنت شامخة أحسبها   فوق أنساب البرايا تتعالى

وأجابت: أنا من أندلس   جنة الدنيا عبيرا وظلالا
وجدودي ألمح الدهر على   ذكرهم يطوي جناحيه جلالا
أطرق القلب وغامت أعيني   برؤاها وتجاهلت السؤالا(٧٤)

وأما ثانيهما فهو نص نزار قباني :

في مدخل الحمراء كان لقاؤنا   ما أطيب اللقيا بلا ميعاد
هل أنت إسبانية ؟ سألتها   قالت : وفي غرناطة ميلادي
قالت : هنا الحمراء زهو جدودنا   فاقرأ على جدرانها أمجادي

...

يا ليت وارثتي الجميلة أدركت   أن الذين عنتهم أجدادي(٧٥)

وإلى هذا وذاك وجدنا نصوصاً أخرى تفاعلت مع نصوص من تراث الأندلس الشعري ، وبلغ بها هذا التفاعل درجة أمكن معها اعتبارها تكملة أو ذيلاً لها على نحو ما نجد في أبيات أجراها حسين سراج على لسان ابن زيدون وكأنه يصل بها نونيته الشهيرة (أضحى التنائي بديلاً من تدانينا)(٧٦) ، ومنها :

أمست ليالي الهنا حلما تناجينا   وأصبحت ذكريات الحب تشقينا
كنا خليلين في دنيا الغرام وقد   أضفت علينا من النعمى أفانينا
نسقى حميا الهوى في الكأس مترعة   ممزوجة بحنان كان يحيينا
وللصبا في قشيب البرد روعته   وللعيون نداء كان يغرينا
ورقة في دلال زانه خفر   وعفة توجت فخرا ليالينا(٧٧)

ولم يبعد الأستاذ محمود تيمور عن الصواب حين قال بأن الشاعر بنونيته هذه يعارض نونية ابن زيدون(٧٨) : ذلك أن «التناص» إذا كان في مدلوله النقدي الحديث يعني (تضمينات من غير تنصيص) كما عند رولان وخوليا كريستينا فإنه في مدلوله العام المستفاد من أدبيات النقد الأدبي العربي القديم يعني ، فيما يعنيه ، المعارضة إلى جانب التضمين والاقتباس والنظر والإحالة وغيرها .

بل إن مقدم مسرحية حسين سراج حدد ، ولو لم يسم ، درجة الامتصاص ، وهو مستوى من مستويات « التناص » ، في شعر المسرحية وخاصة فيما أجراه منه صاحبها على لسان ابن زيدون حين قال بأن الشاعر يبدو في شعره هذا (وكأنه يحضره شيطان شعره -أي ابن زيدون- فيبعث فيه روعة القصيد ، وهذا فن من الاستجابة وصدق الاستيحاء جدير بأكرم تقدير)(٧٩).

بل إن (الموضوع الأندلسي) لهذه المسرحية هو الذي وصل أشعارها بتجربة الشاعر الأندلسي ، تمتص منها ليس فقط على مستوى (المضمون) ، ولكن ، كذلك ، على مستوى الإيقاع ، وهو ما نتمثله في بعض ما ضمن سراج مسرحيته من (أوزان) نزع بها منزع الموشح لتفي بمقتضيات الموقف الذي أنشدت فيه

* * *

مكة المكرمة حسن الوراكلي

الهوامش

(١) طبع في أوروبا وفي مصر في القرن الماضي ، ثم أعيد طبعه عدة مرات .

(٢) طبع في مصر والمغرب .

(٣) عني بتتبعها ودراستها طائفة من الباحثين ، نذكر منهم الدكتور محمد بن شريفة ، والدكتور بدرو مونتابيث مارتينث ، والدكتور عبدالله اجبيلو ، والدكتور أحمد الطريبق ، ولنا في ذلك جملة بحوث غير منشورة .

(٤) كما عند محمد حسن فقي ، وحسين عرب وغيرهما .

(٥) كما عند صالح الزهراني ، وأحمد الصالح وغيرهما .

(٦) كما عند خير الدين الزركلي ، وعبدالله بلخير ، وغيرهما .

(٧) كما عند حسين سراج .

(٨) انظر كتاب (عبدالله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية) لمؤلفه الأستاذ محمود رداوي .

(٩) من مقابلة مع الشاعر في « عكاظ » نقلاً عن كتاب (عبدالله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية) .

(٩م) صدرت طبعتها الأولى سنة ١٩٥٢م .

(١٠) انظر تقديم محمود تيمور ص ١٤ .

(١١) انظر دراستنا (التراث الأندلسي وسؤال الوحدة) ضمن كتابنا (العلل بعد النهل) .

(١٢) انظر كتابنا (ابن صارة الشنتري حياته وشعره) .

(١٣) انظر كتابنا (محاضرات عن أدب الجهاد في الأندلس) .

(١٤) انظر (عبدالله بلخير شاعر الأصالة والملاحم الإسلامية) ص ١٩٦ .

(١٥) نفسه ص ١٩٨ .

(١٦) نفسه ص ١٩٨ .

(١٧) انظر ديوان (الطائر الغريب) ص ١١٧ .

(١٨) انظر ديوان (الهوى والشباب) ص ٣١ .

(١٩) نفسه ص ٣١ .

(٢٠) انظر ديوان محمد حسن فقي « الأعمال الكاملة » ج ١ ص ٤٢٢ .

(٢١) انظر ديوان (أندلسيات) ص ٧٨ .

(٢٢) انظر ديوان (على درب الجهاد) ص ١١٣ ، ١١٥ .

(٢٣) انظر ديوان حسين عرب ج ٢ ص ٢٣٦ .

(٢٤) نفسه ص ٢٢٧ .

(٢٥) انظر ديوان (إلى أمتي) ص ٨٧ .

(٢٦) انظر قصيدة (قرطبة) الإثنينية ج ١ ص ١١٠ .

(٢٧) انظر ديوان محمد حسن فقي « الأعمال الكاملة » ج ١ ص ٤٢١ .

(٢٨) انظر ديوان الزركلي ص ٨١ .

(٢٩) نفسه ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٣٠) نفسه ص ٨٤ .

(٣١) نفسه ص ٨٦ .

(٣٢) انظر (غرام ولادة) ص ٧٤ .

(٣٣) انظر ديوان فقي ج ١ ص ٤٢٢ .

(٣٤) انظر قصيدة (قرطبة) الإثنينية ج ١ ص ١١٤ .

(٣٥) نفسه ص ١١٢ .

(٣٦) نفسه ص ١١٣ .

(٣٧) انظر (قصيدة غرناطة وقصور الحمراء) .

(٣٨) انظر (غرام ولادة) ص ٦٧ .

(٣٩) نفسه ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٤٠) انظر (على أطلال إرم) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٤١) انظر ديوان (وستذكرون ما أقول لكم) ص ٤ ، ٥ .

(٤٢) انظر (قصيدة قرطبة) ص ١١٣ .

(٤٣) نفسه ص ١١٠ .

(٤٤) نفسه ص ١١٠ .

(٤٥) انظر ديوان (الأربعون) ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٤٦) انظر (قصيدة قرطبة) ص ١١٥ .

(٤٧) نفسه ص ١١٥ .

(٤٨) انظر ديوان فقي ج ١ ص ٤٢٣ .

(٤٩) انظر (غرام ولادة) ٧٣ .

(٥٠) انظر (على أطلال إرم) ص ١١٥ .

(٥١) نفسه ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٥٢) انظر ديوان (أندلسيات) ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ .

(٥٣) نفسه ٦٣ ، ٦٤ .

(٥٤) عن مصورة في خزانتنا .

(٥٥) انظر (قصيدة قرطبة) الإثنينية ج ١ ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٥٦) انظر (على أطلال إرم) ص ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٦ .

(٥٧) عن مصورة بخزانتنا .

(٥٨) انظر ديوان الزركلي ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٥٩) أنظر ديوان (انتفضي أيتها المليحة) ص ٥٦ .

(٦٠) انظر ديوان (أندلسيات) ص ٧٨ .

(٦١) انظر ديوان فقي ج ١ ص ٤٢٤ .

(٦٢) انظر ديوان (أندلسيات) ص ٦٥ .

(٦٣) نفسه ص ٧٨ .

(٦٤) انظر ديوان (قمم الألب) ص ٨٠ .

(٦٥) انظر ديوان (الأربعون) ص ٢٠ ، ٢١ .

(٦٦) انظر ديوان (على درب الجهاد) ص ١١٢ .

المصادر والمراجع

١ – الإثنينية ، ج ١، الناشر : عبد المقصود خوجة ، جدة (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢– ١٩٨٣م) .

٢ – الأربعون (شعر) عبدالسلام هاشم حافظ ، الناشر : عبد المقصود خوجة ، جدة ، ط١ (١٤١٢هـ / ١٩٨٢م) .

٣ – الأعمال الكاملة للشاعر محمد حسن فقي (المجلد الأول) ، الناشر : الدار السعودية للنشر والتوزيع.

٤ – الأعمال الشعرية الكبرى ، ج ٣ ، منشورات نزار قباني (١٩٨٦م) .

٥ – أندلسيات (شعر) مطلق بن حميد الثبيتي (طبع على نفقة سمو الأمير سلمان بن عبد العزيز).

٦ – حسرة العربي (نص شعري) ، د. حيدر الغدير (نسخة بخط الشاعر في خزانتنا) .

٧ – ديوان حسين عرب (المجموعة الكاملة) الجزء الثاني ، الناشر : شركة مكة للطباعة والنشر (١٤٠٣هـ).

٨ – ديوان الزركلي ، خير الدين بن محمود (الأعمال الشعرية الكاملة) ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

٩ – الطائر الغريب (شعر) حسين سرحان ، مطبوعات نادي الطائف الأدبي (١٤١٧هـ) .

١٠ – قمم الأولمب (شعر) محمد حسن عواد ، إصدارات نادي جدة الأدبي .

١١ – عبدالله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية ، محمود رداوي ، الناشر : عبد المقصود خوجة ، جدة (دار القلم ، دمشق) ، ط ١(١٤١١هـ/ ١٩٩١) .

١٢ – على أطلال إرم (ملحمة شعرية) ، محمد هاشم رشيد ، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي ، مطابع الرشيد (المدينة المنورة) .

١٣ – على درب الجهاد (ديوان شعر) ، د . زاهر بن عواض الألمعي ، مطابع الفرزدق التجارية ، ط ٢ (١٤٠١هـ) .

١٤ – غرام ولادة (مسرحية شعرية) حسين عبدالله سراج ، الناشر : تهامة ، سلسلة « الكتاب العربي السعودي » (٦٦) ، ط ٢ ، (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، جدة .

١٥ قصيدة « الأندلس » للدكتور عبدالله المعطاني (مصورة بخط الشاعر بخزانتنا)

(١٦) مختارات عمر أبي ريشة ، المكتب التجاري ، بيروت .

١٦ انتفضي ... أيتها المليحة (شعر) أحمد صالح الصالح ، الناشر : دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ط ١ (١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م) .

١٧ الهوى والشباب (ديوان شعر) أحمد عبد الغفور عطار ، مكة المكرمة (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

١٨ وستذكرون ما أقول لكم (شعر) د . صالح سعيد الزهراني (نسخة مرقونة في خزانتنا) .